أثر الاستفهام والحال والنفي في لفظة (غير) في القرآن الكريم

عادل كرامة سالم معيلي*

تاريخ تسلُّم البحث : 2018/7/26م تاريخ قبول النشر: 2018/11/5م

الملخص

تتصف الكلمة ، بوصفها مادة صوتية وإشارية وإيحائية ، بالثبات في ذاتها، والتحول والتعدد والتنوع في وظيفتها، وفاعليتها تبعا للأسلوب الواردة فيه، وموقعها منه، ووظيفتها الإعرابية داخله، ووظيفتها النصية ضمن التركيب.

وبتتبع لفظة (غير) وفقا لذلك، ضمن النص القرآني يمكن استجلاء أثر ذلك التعدد والتنوع الوظيفي النصي والأسلوبي.

فقد تنوعت الصورة الدلاليَّة التي تفيدها لفظة غير بحسب سياقها ، والأسلوب التي وردت فيه، وقد وردت ضمن هذه الدراسة في حدودها الموضوعيَّة بالاستفهام والحال والنفي، فكانت في الاستفهام تدلُّ على حيِّز استفهامي يحتمل التهديد والتوبيخ، وتدّل أيضاً على الصفة في الوظيفة التركيبيَّة، فأفادت جماليَّة النص . أمَّا في الحال فرغم أنَّ الحال دال على الهيئة الحسِّيَّة نجد أنَّ لفظة غير في نمطها التركيبي لم تفد الهيئة الحسيَّة فقط، بل أضافت دلالة خاصة؛ إذ كانت لها دلالات على النوايا. وفي النفي تدلَّ على انتفاء الحال، ووجودها أو تحققها الآن أو غير الآن، وليس أنَّها لنفي الحال مؤقتا، ودلَّت أيضا على توكيد المعنى في كلِّ مقام مشابه، أو مناسبة القول لكلِّ مقام مشابه. وقد اتبع الباحث في بحثه المنهج الوصفي الاستقرائي.

المقدمة:

الكلمة أساس الفعل اللغوي، والاتصالي، والبلاغي، والإبلاغي، إذ الكلمة أصوات، والصوت أساس اللغة، فالكلمة صوت ومادة، وهي تحيل إلى شيء، أيا كان ذلك الشيء.

وتكتسب الكلمة معناها من الاصطلاح والتواضع الابتدائي، في حين تكتسب دلالاتها وإيحاءاتها من معناها، وهيئة ورودها صرفيا ونحويا داخل بنية تركيبية تامة مفيدة.

فالنظر إلى الكلمة – إذن– لا يكون إلا بالنظر إلى هيئتها، مفردة داخل البنية والسياق، ثم إلى موقعها التركيبي، ووظيفتها النصية داخل ذلك التركيب، وبالنظر إلى الوظيفة النصية أو الأسلوبية التي يؤديها الأسلوب البنيوي التركيبي بصفة عامة، أو بصفة خاصة في النص موضع الدرس.

ويروم الباحث من هذه الدراسة النظر إلى (غير) بصفتها مفردة لها وضع تكراري يسمح بتتبعها على أنها ظاهرة أسلوبية داخل النص القرآني، من خلال موقعها التركيبي ووظيفتها النصية.

لذا سنتناول (غير) وفقا لما مضى تأسيسه، واستنادا إلى إجراءات منهجية تعين على ذلك، حتمتها طبيعة المادة المدروسة ووفرتها، أولها:

التكرار، إذ سيتم عدُّ التكرار عاملا محددا لتكوين الظاهرة الأسلوبية أو الحيز. بما يسمح باستجلاء جماليات ودلالات. وقد حتم ذلك الاقتصار على هيئة ورود الكلمة(غير) ضمن ظواهر تركيبية وأسلوبية محددة، حرصا على تكثيف المادة المقدمة وإيجازها.، إذ يتعذر– من غير وضع إطار محدد وواضح يظهر في سطح النص– التعامل مع النص، كما يتعذر الإحاطة بالنصوص والسياقات التي وردت فيها غير في القرآن الكريم، لاتساعها، وتعددها وثرائها.

وثانيها: الحيز، إذ يرى الباحث أن (غير) بورودها

* أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية – كلية التربية بالمهرة – جامعة حضرموت.

عامة تمثل حيِّزاً داخل النص القرآني، ثم ورودها في بُنَى تركيبية أسلوبية تكرارية، فجعلت كل ظاهرة أسلوبية تكرارية حيزا يضم ما تكرر من البُنَى اللغوية.

ولذا اتبع الباحث إجرائياً (في المرحلة الأولى) الآتي:

أ- جمع الآيات المتضمنة (غير).

ب- تصنيفها من حيث تكوينها ظاهرة بنائية أسلوبية. يجمع بينها التشابه والتكرار.

ج- الاقتصار على ظواهر محددة.

واتبع في المرحلة الثانية:

أ- تصنيف الآيات ضمن الظاهرة البنيوية والأسلوبية تحت مسمى الحيز، بوصف (غير) مادة لغوية ضمن النص القرآني، وكذا التراكيب الواردة فيها، وقد اتخذا معا حيزا ضمن مادة النص القرآني.

ب- النظر في الوظيفة النصية للأسلوب، بتقديم موجز حول الوظيفة التي يؤديها الأسلوب المُشَكِّل للظاهرة- على العموم – بما يؤديه من وظيفة عامة.

ج- تناول التراكيب موضع الدراسة ضمن الحيز بحسب السياق.

د- بيان الجماليات المنبثقة عن الوظيفة النصية لـ(غير) ولما وردت ضمنه من أسلوب.

مصطلحات البحث الإجرائية:

الوظيفة النصية:

الوظيفة هي: الفاعلية التي يؤديها عنصر ما من عناصر البناء اللغوي في النص، في المتعارف عليه وفقا لأساليب وقواعد اللغة، فالأفعال – مثلا- لها وظيفتها في الجمل وفي ذاتها، وأن تكون الصيغة (استفعل) فلها وظيفة غير (تفعَّل) وهكذا. والجملة الفعلية تؤدي وظيفة الحركة والاسمية وظيفة الثبات.

النص: العبارة المكتملة التامة، المفيدة فائدة يحسن السكوت عليها، على أن تكون العبارة محددة. ومن ثم فقد يكون النص بيتا شعريا أو جزءا منه، آية أو بعض آية، أو مقطعا شعريا أو قصيدة. والتحديد من عمل الناقد، فإذا كان الناقد يريد تحليل الخطاب فقد يتناول الجمل المتداولة بصورة يومية.

النصية: مشتقة من النص، فهي منحدرة منه على عمومه، لتدل على النص موضع الدرس وغرضه. فالوظيفة النصية هي وظيفة منحدرة من الوظيفة العامة، ومن النص العام، أي من العموم إلى الخصوص، ومن التنظير إلى الإجراء. فمن العموم – مثلاً – وظيفة الاستفهام حين يدخل على الجملة، يحولها إلى جملة استفهامية تطلب إخبارا ومعلومة، بعد أن كانت جملة خبرية ترسل المعلومة من غير استخبار.

وتختص الوظيفة النصية " ببناء الحدث اللغوي، أي (المقال) وذلك باختيار الجمل المناسبة للمقام ولقوانين النحو، ولتنظيم المحتوى بطريقة مترابطة، تتسق مع عملية الاتصال في مجموعها".[1]

لتكون الوظيفة النصية – إجرائيا- هي : الفاعلية التي يؤديها عنصر من عناصر البناء، داخل نص مبني مسبقا، ومحدد مسبقا لتحليله. ويُظهِر هذه الفاعليةَ السياقُ التركيبي غير مفصول عن السياق النصي والمعنوي والاجتماعي والثقافي، أو عن سياقات التكوين المرجعية. أما إذا كان في أثناء البناء فهذا عمل المبدع لأنه يعاني هذه الوظيفة من غير بناء مسبق فهو في حالة تخطيط وبناء للنص.

ولا يوجد شرط، أو شروط معينة لتحديد النص، لأنه مستحيل؛ لتعدد الأهواء، وأغراض التحليل، وعدم محدودية النصوص، فالنص وغرض تحليله مما لا يمكن تحديدهما. كما أننا نلحظ أن النصوص المختارة من الآيات المنتخبة للدراسة تتميز بكونها عبارات مكتملة، وتحمل رسالة موجهة، ما يجعل منها نصا قابلا للتحليل والملاحظة، من غير إغفال التركيب

والسياق الذي يكتنفه.

وتكمن فاعلية هذا التعريف الإجرائي، في:

1- عنايته بالأثر الجمالي الذي يتركه عنصر، أو مجموعة عناصر، في النص، أو هيئة النص أو بنيته في المتلقي.

2- لا يغفل المقام الاجتماعي للعناصر، كما لا يهمل مقام الخطاب نفسه من حيث هو جنس قولي تداولي.

3- لا يغفل مقام المخاطِب وغرضه، ولا مقام المخاطَب وغرضه.

4- لا يغفل القيمة المعنوية والإيحائية للكلمات – في ذاتها– بصفتها بنية ذات طبيعة مستقلة، ولا بصفتها بنية مرتبطة ببناء قائم، وردت ضمنه تركيبا وسياقا.

5- لا يغفل العناصر المكونة للنص.

الصورة الدلالية: نتاج تفاعل المكونات الكلية والجزئية المنتجة للنص، والتي تضم: لغته، و موقفه، وعلاقاته الاجتماعية والثقافية.

المبحث الأول:

حيز التكرار البنيوي والأسلوبي (للاستفهام)

الوظيفة النصية للاستفهام

دخول الاستفهام على الجملة يحولها من الإخبار إلى الاستخبار، وذاك أنَّ الاستفهامَ استخبارٌ، والاستخبارُ هو طلبٌ منَ المخاطَب أن يُخبرَك.[2] وهما نظمان من الكلام لكل منهما خصوصية. والاستفهام يجعل الجملة جملة تحويلية أصلها التوليدي كان لمعنى الإخبار[3] وقد يخرج غرض الاستفهام من التصور والتصديق، إلى أغراض أخرى، قد تكون منافية لغرض الاستفهام الصريح، ذلك أن الاستفهام هو " أحد أنواع الطلب استفعال، فهو طلب الفهم، وقد يخرج عن ذلك لتقرير أو غيره"[4] فهو طلب العلم بالشيء إذن، وهو وظيفة الاستفهام حقيقة. أما حين يخرج الاستفهام إلى معان أخر، فإن المخاطِب عالمٌ بالأمر مُطَّلِعٌ عليه مُتَأكد منه.

ولأدوات الاستفهام، أو الأدوات الداخلة على الجملة، أهميتها وقيمتها التركيبية والنصية " فهذه الأدوات لها قيمة خاصة في بناء الجملة، لأن معانيها تلوّن الجملة كلها، فتحيلها شرطاً، أو استفهاماً، أو نفياً"[5] هذا إذا كانت الوظيفة الحقيقية للأسلوب أو للأداة، أما حين يخرج الأسلوب والأداة عن وظيفته الأساس إلى وظيفة نصية يتطلبها السياق، فإن أداة الاستفهام قد تحيل الاستفهام من طلب الاستخبار إلى الإخبار.[6] فكأن قوله تعالى" من إله غير الله يأتيكم .." [46] من سورة الأنعام، فيه نفي لوجود إله غير الله من حيث الأصل، وليس استفهاما عن وجود أو عدم، فادعاؤهم الآلهة باطل من أساسه، ولا وجود لإله غيره تعالى، فهو نفي وإثبات وتقرير وتحدٍّ.

وتتنوع وظيفة الاستفهام، وأداته تبعاً للبنية التركيبية، والغرض الأسلوبي لتلك البنية، وفقا للعرف المتبع في التعبير، سواء أكان في أسلوب الاستخبار أم كان في أسلوب الإخبار؛ فمن المحال " أن يفترقَ الحالُ بينَ تقديمِ الاسمِ وتأخيرهِ في الاستفهامِ، فيكون المعنى إذا قلتَ: أزيدٌ قامَ: غيرَه إذا قلتَ: أقامَ زيدٌ، ثم لا يكونُ هذا الافتراقُ في الخبر. ويكون قولُك : زيدٌ قام، وقام زيدٌ، سواءً؛ ذاك لأنه يؤدِّي إلى أن تستعملَه أمراً لا سبيلَ فيه إلى جوابٍ، وأن تستثبتَه المعنى على وجهٍ ليس عنده عبارةً يثبتُه لكَ بها على ذلك الوجه. وجُمْلَةُ الأمرِ، أنَّ المعنى في إدخالك حرفَ الاستفهام على الجُملةِ من الكلام، هو أنَّك تطلبُ أن يَقِفَك في معنى تلك الجملة ومَؤَدَّاها على إثباتٍ أو نَفْي . فإذا قلتَ: أزيدٌ منطلقٌ. فأنتَ تطلب أنْ يقولَ لك: نَعَم، هو منطلقٌ. أو يقولَ: لا، ما هو منطلقٌ . وإذا كان ذلك كذلك كان مُحالاً أن لا تكونَ الجملةُ إذا دخلتْها همزةُ الاستفهام استخباراً عنِ المعنى على وجهٍ لا تكونُ هي

إذا نُزِعَتْ منها الهمزةُ إخباراً به على ذلك الوجه فاعرفْه"[7] ويكون هذا التنوع داخلا ضمن الوظيفة النصية للاستفهام، وفقا للتعريف الإجرائي السابق ذكره، ويقضي بأن تكون الوظيفة النصية للتركيب أو الأسلوب، غير مفصولة عن السياق التركيبي والثقافي والتداولي.

فالوظيفة التركيبية لأسلوب الاستفهام – إذن– هي الاستخبار وطلب العلم بالشيء، أو السؤال عن ماهيته أو زمانه أو مكانه، أو ما يتعلق به. وقد يخرج إلى وظائف أخرى يحددها السياق التركيبي ومقام القول، وتداولية الخطاب بين المرسل والمتلقي، على وفق العرف اللغوي، فقد يخرج إلى التوبيخ أو الإنكار أو غيرهما. فالتفسير التداولي للاستفهام، يرتبط بالسياق والمقام، وليس بحرفية الأسلوب، مما يعني أن القالب التركيبي الاستفهامي قد جُعِلَ وسيلة لإضافة قوة إلى قوته، في سياق لا يكون السؤال عن المحتوى، بغرض التصديق أو التصور، هو وظيفة الخطاب الأساسية[8].

كما يعني ترابط مفاهيم: النصية والتداولية والجمالية.

وقد جاءت (غير) وفقا لهذا الأسلوب في الآتي:

1– حيز التكرار الاستفهامي (مَن إله غير الله)

وهو حيز استفهامي يحتمل التهديد والتحدي والتوبيخ. لكنه في هذا النمط أتى للتوبيخ ، أي هل من آلهتكم، غيره تعالى، يأتيكم بما هو مناط التحدي، من سلب المشاعر، كما في قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [46] من سورة الأنعام " والجملة، كما قال غير واحد، متعلق الرؤية ومناط الاستخبار، أي أخبروني إن سلب الله تعالى مشاعركم، من إله غيره سبحانه يأتيكم به. وترك كاف الخطاب هنا قيل : لأن التخويف فيه أخف مما تقدم ومما يأتي"[9] " ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنظر في تصريف الآيات، وعدم قبولهم لها، تعجيبا له من ذلك "[10].

والتحدي الثاني هو التصرف في الليل والنهار، وتعاقبهما بما ينفع الخليقة، وهو في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [71] من سورة القصص. وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [72] من سورة القصص. " يقول : مَن معبود غير المعبود الذي له عبادة كل شيء يأتيكم بضياء النهار فتستضيئون به ﴿أفلا تسمعون﴾ يقول : أفلا ترعون ذلك سمعكم وتفكرون فيه، فتتعظون، وتعلمون أن ربكم هو الذي يأتي بالليل ويذهب بالنهار إذا شاء، وإذا شاء أتى بالنهار وذهب بالليل، فينعم باختلافهما كذلك عليكم"[11] فهل لكم " إله، من الآلهة التي تعبدونها، يقدر على أن يرفع هذه الظلمة الدائمة عنكم بضياء؟! أي بنور تطلبون فيه المعيشة، وتبصرون فيه ما تحتاجون إليه، وتصلح به ثماركم، وتنمو عنده زرائعكم، وتعيش فيه دوابكم ﴿أفلا تسمعون﴾ هذا الكلام سماع فهم وقبول وتدبر وتفكر؟!"[12]

وهنا نرى أن الوظيفة (الافتراضية) التركيبية للاستفهام هي: الاستفهام عن وجود. وأن الوظيفة التركيبية لـ(غير) هي الصفة، ومن ذلك تأتي الوظيفة النصية للعبارة، فكأنه قد قرر حتما بوجود إله واحد فقط، هو الإله المستفهَم عنه، أو الإله الموصوف بما يدل أنه لا إله – أصلا – موجود غيره تعالى. وينبني على هذه الوظيفة، وظيفة تنبيه المخاطَب إلى أن هذا الإله الموصوف هو وحده المستحق للعبادة، وينبني على الثانية وظيفة جديدة وهي : إذا كان لا يوجد إله إلا

الله، ولا قادر غيره، فكيف يُعبد سواه؟! ولعل في اختتام الآيات بالاستفهام الإنكاري(أفلا تسمعون/ أفلا تبصرون) ما يؤيد هذا.

جمالية الأسلوب:

1- الاستفهام للتوبيخ.

2- الاستفهام باسم الاستفهام (من) جعل لاسم الاستفهام محلا إعرابيا، وهذا أوقع الاستفهام على الخبر (إله)، وذلك يعني أن الاستفهام عن وجود إله أصلا.

3- الوصف بـ (غير) نفيٌ مطلق لكل من لم يرد اسمه بعدها، فلا يبقى صاحبا للحق والقدرة غيره تعالى.

4- ملازمة (غير) للتركيب الإضافي مع الاسم الأعظم.

5- ورود غير وما بعدها على هيئة الاعتراض يجعلها في موضع الإبانة والتوكيد، بما يناسب الموضع، من التوكيد والحصر، فالاعتراض يفيد: تأكيد المضمون المراد، تنبيه السامع، زيادة في الفائدة المتوقعة؛ لأن الاعتراض يكون بين شيئين متلازمين كالمبتدأ والخبر، وتأتي الجملة المعترضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوية وتسديدا أو تحسينا[13].

2- حيز التكرار الاستفهامي (أغير الله/ أفغير الله)

قبل استعراض هذا الحيز فإنه قد ورد مقترنا بمظهرين أسلوبيين وبنيويين هما: المفعول به مقدما، والجملة الحالية، مما يحتم علينا تناول هذه الجزئية. وقد تم تناول الحال هنا مع أنه يأتي لاحقا لسبب أن البنية قد تضمنت هذين المظهرين. وقد ذكرنا ما يتعلق بالتقديم وبالاستفهام بالهمز والحال، لما تحتمه طبيعة النظر في النص اللغوي وعناصره؛ فإنه لا تكون وظيفة نصية ولا دلالية أو جمالية، ولا يتكون سياق إلا بتضافر جميع العناصر، فالمكونات للنص عناصر تعمل كونها جزءا من منظومة النظام اللغوي. والفاعلية التي يؤديها النص أو أي عنصر فيه لا تكون إلا للنص بكافة عناصره، وإن كان يرمي إلى إظهار قوة عنصرٍ ما على بقية العناصر فلغرض الدرس والتحليل، إذ لو فصلنا أي عنصر من العناصر المكونة للنص لاختلفت الصورة التي كان عليها ونبا عنها الذوق.

<u>جمالية التقديم للمفعول به والاستفهام بالهمزة:</u>

الاستفهام بالهمزة:

للاستفهام أسماء وأدوات متعددة، فأدواته: الهمزة، وهل، وغيرهما، ومنها (الهمزة) وهي أم الباب، وأصل الاستفهام، إذ هي لا تعدل عن الاستفهام إلى باب آخر، أما أسماؤه فكثير منها: من وغيرها.

ولهذا الأسلوب جمالية خاصة، وفقا للهيئة التي جاء عليها، غير جمالية أسلوب الاستفهام بأداة أخرى، ذلك أن الاستفهام بالهمزة على هذه الهيئة " تقريرٌ بفعلٍ قد كان، وإنكارٌ له لِمَ كان، وتوبيخٌ لفاعلهِ عليه"[14] أما الاستفهام بالاسم فهو لا يتمتع بمزية الاستفهام بالهمزة، فالاستفهام بـ(من) و(كيف) وغيرهما، لا تقر فعلا بل فاعلا في (من)، وكيفية في (كيف)، وزمنا في (أنى)، ومكانا في (أين).

ولم يأت الاستفهام بالهمزة – هنا في الآيات موضع الدرس – بغرض التصديق أو التصور، وإنما هي للمعنى الذي جاءت له في الجملة، ضمن تركيب الجملة وسياقها " فالسياق عنصر رئيس من عناصر المعنى"[15].

ولموقع الهمزة من التركيب وما يأتي بعدها أثر في تكوين الدلالة؛ ذلك أنك إذا قلت:" أفعلتَ، فبدأتَ بالفعل، كان الشكُّ في الفِعل نفسِه، وكان غرضُك من استفهامِك أن تعلمَ وجودَه . وإذا قلتَ : أأنتَ فعلتَ، فبدأتَ بالاسمِ، كان الشكُّ في الفاعِل مَن هو، وكان التردُّدُ فيه. ومثال ذلك أنك تقولُ : أبنيتَ الدارَ التي كان عليك أن تَبنيَها؟ وأقلتَ الشعرَ الذي كان في

نفسِك أنْ تقولَه؟ أفرغتَ منَ الكتابِ الذي كنتَ تكتُبه؟ تبدأ في هذا ونحوه بالفعل؛ لأن السؤالَ عن الفعل نفسِه والشكَّ فيه؛ لأنك في جميع ذلك متردِّدٌ في وجودِ الفعل"[16] "واعلمْ أنَّ هذا الذي ذكرتُ لك في الهمزة وهي للاستفهام قائمٌ فيها إذا كانتْ هيَ للتقرير. فإذا قلتَ أأنت فعلتَ ذاك كان غرضُك أن تقررَه بأنه الفاعل. يبينُ ذلك قولهُ تعالى حكايةً عن قولِ نمرود: ﴿ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هذا بآلِهَتِنا يَا إِبْرَاهِيْمُ ﴾"[17] و قد ورد للتقرير، ولا أقصد هنا التقرير المتعلق بالبلاغة والاستفهام، بل تقرير المعنى في العبارة عقب الاستفهام زيادةً في توكيد ظلمهم وجهلهم.

التقديم:

لما كان للاستفهام بالهمزة هذه المزية، فإن لها هنا مزية أخرى بكون الاستفهام واقعاً على المفعول به، ثم كون هذا المفعول به مقدماً، ذلك أن تقديم ما حقه التأخير يكون للعناية، وهو هنا المفعول به. ثم أن يكون المقدم هو المستفهم عنه، وهو المفعول به له مزية أخرى؛ فإن تقديم" اسم المفعول يَقْتضي أن يكونَ الإنكارُ في طريق الإحالة، والمنع من أن يكونَ بمثابةِ أن يُوقَعَ به مثلُ ذلك الفعل. فإذا قلتَ: أزيداً تضربُ؟ كنتَ قد أنكرتَ أن يكونَ زيدٌ بمثابة أن يُضرَبَ، أو بموضعٍ أن يُجترأ عليه ويُستجازَ ذلك فيه. ومن أجل ذلك قدَّم (غير) في قولهِ تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وليّاً﴾ [14] من سورة الأنعام، وقولهِ عزّ وَجَلَ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُون﴾ [40] من سورة الأنعام، وكان له من الحُسن والمزيَّة والفخامة ما علمُ أنه لا يكونُ لو أُخرَ فقيلَ: قل أتتَّخذُ غيرَ الله ولياً، وأتدعون غير الله؟ وذلك لأنه حصل بالتقديم معنى قولك: أيكون غير الله بمثابة أن يُتَّخذَ وليا؟ و أيرضى عاقلٌ من نفسهِ أن يفعلَ ذلك؟ و أيكونُ جهلٌ أجهلَ، وعمًى أعمى من ذلك؟ ولا يكونُ شيءٌ مِن ذلك إذا قيلَ : أأتَّخذ غيرَ الله ولياً؟ وذلك لأنَّه حينئذٍ يتناولُ الفعلَ أن يكونَ فقط، ولا يزيدُ على ذلك فاعرفْه. وكذلك الحكمُ في قولِهِ تَعالى : ﴿ فَقَالُوا أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ ﴾ [24] من سورة القمر، وذلك لأنَّهم بَنَوا كفرَهُم على أنَّ مَن كان مثلَهُم بشراً لم يكُن بمثابةِ أن يُتَّبعَ، ويُطاع ويُنْتَهى إلى ما يأمرُ ويُصدَّقُ أنه مبعوثٌ منَ الله تعالى، وأنهم مأمورون بطاعتهِ، كما جاء في الأُخرى : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونا ﴾ [10] من سورة إبراهيم"[18]

والتقديم يستعمل على وجهين" أحدهما: الاختصاص، والآخر مراعاة لنظم الكلام، وذلك أنَّ نظمه لا يحسن إلا بالتقديم، وإذا أخر المقدَّمُ ذهب ذلك الحسن، وهذا الوجه أبلغ وأوكد من الاختصاص"[19] " واستبصر فإذا قدمت المفعول توجه الإنكار إلى كونه بمثابة أن يوقع به مثل ذلك الفعل كقوله ﴿قل أغير الله أتخذ وليا﴾ وقوله: ﴿ أغير الله تدعون﴾ المعنى أغير الله بمثابة من يتخذ وليا"[20] وإذا كان قد" ثبتَ في تقديمِ المفعولِ – مثلاً– على الفِعل، في كثيرٍ من الكلامِ، أنه قد اختصَّ بفائدةٍ لا تكونُ تلك الفائدةُ معَ التأخيرِ، فقد وجبَ أن تكونَ تلك قضيةً في كلِّ شيءٍ وكلِّ حال. ومِن سبيل مَن يجعلُ التقديمَ وتركَ التقديم سواءً، أن يدَّعيَ أنه كذلك في عمومِ الأحوال . فأمّا أن يجعلَه بينَ بينَ، فيزعُمُ أنه للفائدةِ في بعضِها، وللتصرُف في اللفظِ من غيرِ معنًى في بعض، فمما ينبغي أن يرغبَ عن القولِ به. وهذه مسائلُ لا يستطيعُ أحدٌ أن يمتنعَ من التَّفرقةِ بينَ تقديمِ ما قُدِّم فيها وتَرْكِ تقديمِه "[21].

أي إننا أمام جماليتين : الأولى للتقديم، والثانية للاستفهام بالهمزة، و لكون المستفهم عنه مفعولا به مقدما. وهذا جميعه في (أغير) في موقع المفعول به،

أو حين تؤدي وظيفة المفعول على وفق هذا السياق.

النمط الأسلوبي:

جاءت الآيات المضمنة هذا الأسلوب على نمطين، الأول منه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [40] من سورة الأنعام " هذا على طريقة التبكيت والتوبيخ : أي أتدعون غير الله في هذه الحالة[يوم القيامة] من الأصنام التي تعبدونها أم تدعون الله سبحانه؟! وقوله: ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ تأكيد لذلك التوبيخ: أي أغير الله من الأصنام تدعون؟ إن كنتم صادقين أن أصنامكم تضر وتنفع، وأنها آلهة كما تزعمون"[22].

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا فِي الْسَّمَواتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللّهِ تَتَّقُونَ﴾ [52] من سورة النحل، إذ أتى الاستفهام بعد تقديم جملة من القول مقررة للحال [لا يقصد بالحال هنا المفهوم النحوي] وتجاوز الإنسان وغفلته بعد ذلك.

وإذا كان اكتمال الغرابة والاستنكار والتوبيخ مفهوم مما تقرر من كونه تعالى مالك السموات والأرض، مع ما يشهده الحال البشري، فقد جاء بما يزيد ذلك توكيدا وتوبيخا وتعنيفا وذلك من خلال تقديم جملة مقررة للحال كما في هذه الآية. و" الاستفهام للتقريع والتوبيخ "[23]. و " الهمزة للإنكار والفاء للتعقيب، أي أبعد ما تقرر من تخصيص جميع الموجودات للسجود به تعالى، وكون ذلك كامل له سبحانه، ونهيه عن اتخاذ الإلهين، وكون الدين له واصبا، المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به تعالى، تتقون غيره، والمنكَر تقوى غير الله تعالى لا مطلق التقوى" [24].

ولعلنا لحظنا اقتران الاستفهام بوجود جملة خبرية ثبوتية مقررة للحال [الواقع لا المفهوم النحوي] الكائن حقيقة من خلال الجملة قبل الاستفهام، كما مضى في الآيتين السابقتين. وقد ذكر الدعاء في الآيتين، والدعاء يكون مع الاضطرار والبلوى، وقد جبل عليه الإنسان. والتقوى جاءت بعد ذكر خضوع السموات والأرض ومن فيهن له تعالى، لذا فإن تقوى الإنسان لله إنما يتماشى ويتوافق مع نواميس الكون، ودعاؤه ربَه تعالى يتوافق وفطرته.

والنمط الثاني يكون بمجيء جملة الحال[المفهوم النحوي] بعد الاستفهام ولها جمالية عجيبة، وهو ما سنتناوله في ما يأتي من البحث. ومنه قوله تعالى:﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [83] من سورة آل عمران " أي: أتتولون فتبغون غير دين الله! وتقديم المفعول لأنه المقصود بالإنكار"[25] و قوله:﴿ وله أسلم من في السموات والأرض﴾ جملة حالية مفيدة لوكادة الإنكار. ونلحظ في الجملة الحالية اقترانها بالواو، و تقديم الجار والمجرور للتخصيص والتأكيد والأهمية.

و من الآيات الواردة وفقا لهذا النمط القرآني:

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [14] من سورة الأنعام. الاستفهام في قوله:﴿ قل أغير الله أتخذ وليا ﴾ للإنكار. قال لهم ذلك لما دعوه إلى عبادة الأصنام. ولمّا كان الإنكار لاتخاذ غير الله وليا، لا لاتخاذ الولي مطلقا، دخلت الهمزة على المفعول، لا على الفعل، والمراد بالولي هنا : المعبود : أي كيف أتخذ غير الله معبودا ؟ "[26].

ومنه قوله تعالى:

﴿أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [114] من سورة الأنعام.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [164] من سورة الأنعام.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [140] من سورة الأعراف.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [64] من سورة الزمر.

والاستفهام للإنكار والتوبيخ [27] وجواب على المشركين. والجملة الحالية بعد الاستفهام لوكادة الإنكار، إذ هو " أفغير الله أطلب لكم حاكما وهو الذي كفاكم مئونة المسألة في الآيات بما أنزله إليكم من الكتاب المفصل أي المبين "[28] وهو إنكار " لبغية غيره تعالى ربا لا لبغية الرب، ولهذا قدم المفعول. وليس التقديم للاختصاص " [29] وهو جواب" على المشركين لما دعوه إلى عبادة غير الله: أي كيف أبغي غير الله ربا مستقلا، وأترك عبادة الله؟! أو شريكا لله فأعبدهما معا! والحال أنه رب كل شيء، والذي تدعونني إلى عبادته هو من جملة من هو مربوب له، مخلوق مثلي، لا يقدر على نفع ولا ضر. وفي هذا الكلام من التقريع والتوبيخ لهم ما لا يقادر قدره. " [30] وتوبيخ لهم " أي كيف أطلب لكم غير الله إلها تعبدونه! وقد شاهدتم من آياته العظام ما يكفي البعض منه ؟ والمعنى: أن هذا الذي طلبتم لا يكون أبدا. وإدخال الهمزة على (غير) للإشعار بأن المُنكَر هو كون المبتغي غيره سبحانه إلها. و(غير) مفعول للفعل الذي بعده. ... وجملة ﴿ وهو فضلكم على العالمين ﴾ في محل نصب على الحال: أي والحال أنه فضلكم على العالمين من أهل عصركم بما أنعم به عليكم من إهلاك عدوكم، واستخلافكم في الأرض، وإخراجكم من الذل والهوان إلى العز والرفعة. فكيف تقابلون هذه النعم بطلب عبادة غيره" [31]. "

والجملة حالية مقررة لوجه الإنكار، أي والحال أنه تعالى خص التفضيل بكم، فأعطاكم نعما لم يعطها غيركم. وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة والمقابلة، حيث قابلوا التفضل، بالتفضيل والاختصاص، بأن قصدوا أن يشركوا به أخس مخلوقاته، وهذا الاختصاص مأخوذ من معنى الكلام " [32].

فالاستفهام الإنكاري، بعد تقديم المفعول به، جعل الإنكار ليس عن الحدث كما لو قدم الفعل فقيل: أيبتغون إلها غير الله، ويؤيده ما ذكره المفسرون، بأن الإنكار ليس للابتغاء، بل لكون المبتغى ربا غير الله، فالإنكار غير واقع على الحدث وهو الابتغاء، ولا على الفاعل، وإنما انصرف إلى المفعول وهو هنا (غير الله) ونلحظ هنا بعض المميزات النصية ومنها:

1- أن المفعول المقدم (غير) له دلالة النفي.

2- ملازمة (غير) للتركيب الإضافي مع الاسم الأعظم.

3- أن السياق التركيبي يقتضي الغرابة والإنكار، إذ إن السياق لكل آية قد جاء بما يناسب من الحجج والبراهين ومخاطبة العقل، ثم جاء الاستفهام الإنكاري.

4- لا تكتمل الوظيفة النصية للاستفهام الإنكاري، ولتقديم المفعول به(غير) إلا باكتمال العبارة ومجيء جملة الحال بعدها.

البناء التركيبي والنصي:

يتكون هذا النمط التركيبي من مكونين أساسيين: المكون الاستفهامي (أداة الاستفهام والمستفهم به_ المستفهم عنه) ومن المكون لجملة الحال (الواو، ولها دلالة الاستئناف والتوكيد، الضمير العائد إليه تعالى، الجملة الفعلية).

ومن هذين المكونين التركيبيين حصل السياق على مناسبة المقام المقتضي للغرابة والإنكار والتوبيخ، بتوظيف العناصر التركيبية ومواقعها، ووظيفة ذلك الموقع في الوظيفة النصية المبنية على الوظيفة الافتراضية.

جدول يوضح البناء التركيبي الافتراضي والنصي

1	المكون التركيبي	أداة	المستفهم	المستفهم عنه	جملة الحال
		الهمزة	الفعل	المفعول	
	الوظيفة	تحويل الخبر إلى استخبار	الفاعلية	المفعولية	البيان
		التصور/ التصديق	الابتغاء/ الاتخاذ	الاستثناء	
	وظيفة الأسلوب الافتراضية	الاستخبار			
2	التركيب النصي	أداة	المستفهم عنه مقدم	المستفهم مؤخر	
	ووظيفته	الإنكار	العناية	لفت النظر والتنبيه	زيادة التقريع و التوبيخ
	وظيفة الأسلوب النصية	التوبيخ والإنكار والتعجب من الحال بين البشر والخالق			

إن القدرة التواصلية لدى الإنسان هي: القدرة على استعمال اللغة الطبيعية في التفاعل الاجتماعي في مستوى الإنجاز، أي في تحقيق الاستعمال الفعلي على وفق طبيعة عرف لغوية واجتماعية، تظهر في البنية التركيبية– من حيث هي شكل مادي– وأسلوبها– من حيث هي نظم وأساليب وأغراض– وما كان عنها من الاختيار والانتقاء[33]. كما ينتج عنها – أي البنية التركيبية– غرض المرسل وقصده وراء بناء المظهر التركيبي للرسالة على تلك الهيئة النصية.

لذا فإن على الناظر في اللغة ناقدا كان أو مستعملا– مرسلا أو متلقيا– خصوصا في النص ذي الرسالة المقصودة– أن لا يكتفي بأن يدرك وجود تغيير طارئ على البناء الافتراضي (ما يطابق القاعدة قبل العدول) للجملة، كأن يكون: فعل+ فاعل+ مفعول، وهو في الجملة المنجزة فعليا: فعل+ مفعول به(نائب فاعل) على سبيل المثال. أو ما يحدث من تقديم أو تأخير أو إدخال أدوات التوكيد والاستفهام على الجملة، بل عليه– أي الناظر في اللغة– أن يدرك الأمور الفارقة بين الاستعمال الافتراضي والاستعمال المنجز، ولماذا كان المنجز مخالفا للافتراضي، مع العلم أن المخالفة تجري على وفق سنن اللغة، و إلا لما كانت لها صفة القبول والتداول والنصية؛ لأن هذه المخالفة يفترض فيها أنها كانت في الرسالة بقصدٍ لتحقيق غرضٍ ما، وأن الموقف التواصلي التعبيري يخدمه ويتطلبه ذلك الفعل الإنجازي. أي إن الرسالة قد خالفت الافتراضي لغرض، وأن المتلقي يدرك ذلك الغرض أو لديه القدرة على إدراكه، وإن اختلف التأويل بسبب من عوامل ثقافية ومعرفية لدى المتلقي ولدى المرسل في حال كانت الرسالة بشرية.

هذا الإدراك يقوم على معارف مشتركة أو يمكن أن تكون كذلك(طبعا في الرسالة ذات المصدر البشري) بين المتلقي والمرسل، وإلا فقدت الرسالة – من حيث بنيتها– خصوصيتها وقدرتها التداولية وفاعليتها النصية.

وخلاصة القول هنا:

* أن السياق البلاغي للاستفهام في الآيات هو الاستنكار والتوبيخ والاستهجان، لموقع المأمور، وصنيع الآمر، وطبيعة الأمر، فالمأمور نبي، والآمر جاهل كافر، والأمر المنهي عنه: الكفر في صور شتى. والسياق يدل على العطاء والفضل من الخالق. والعقل والمنطق من النبي. والجهل والسفه من الآمر. ثم ينظر في اللاحق للاستفهام، وذلك في الآيات موضع الدرس.

* أن التقديم قد أفاد جمالية الاختصاص، فقد كان الاستنكار مختصا بابتغاء حكم غير الله لا ابتغاء الحكم، وبابتغاء رب غير الله لا ابتغاء الرب، وبابتغاء ولي غير الله لا ابتغاء الولي فقط.

* أن الجملة الحالية بعد الاستفهام زيادة في تقرير التقريع والتوبيخ.

* ما سبق لم يكن منفصلا عن غيره من المكونات البنائية والأسلوبية، ما يجعل لـ(غير) وبقية المكونات فاعلية وتأثيرا.

ونلحظ أن هذا الأسلوب قد تميز بمميزات نصية تركيبية هي:

1- أنه قد جاء بعد الاستفهام بالهمزة- غالبا- جملة ذات صيغة خبرية تقريرية: (وهو فضلكم على العالمين)، (وله أسلم من في السموات والأرض) [83] من سورة آل عمران، (وهو يطعم ولا يطعم) [14] من سورة الأنعام، (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا) [114] من سورة الأنعام، (وهو رب كل شيء) [164] من سورة الأنعام.

2- جاء بعد الاستفهام بـ(مَن) استفهام آخر، فيه تعجب من حال المخاطبين: من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون/ أفلا تبصرون،

3- اختلف الأسلوب في آية سورة الأنعام 40" قل أرأيتكم .. إن كنتم صادقين" وآية سورة النحل52" وله ما في السموات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون" دون توسيط فعل الابتغاء أو ذكره، بل هو إلى المخاطب مباشرة، والسياق يتطلب ذلك فهو خطاب مباشر إليهم.

4- إفادة التعجب والإنكار من الحال الكائن، ومن جهل المخاطَب أو تجاهله.

5- ورد هذا النمط الأسلوبي (أغير) في سور مكية غالبا إلا آية واحدة (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) [83] من سورة آل عمران ، وقد تعلق سياقها بالدين، وهو ما يناسب النص المدني، على حين تعلق سياق الآيات المكية بجزئيات تكوِّن العقيدة.

6- ثبات المكون التركيبي الاستفهامي(أداة- غير الله- الفعل) في جميع الآيات ضمن الأسلوب المستفهم فيه بالهمزة.

ومن الناحية النصية، نجد أن السياق الأسلوبي للاستفهام يتطلب الاستخبار، أي طلب الإجابة، إلا أنه لا يقصد به ذلك هنا، وفي ذلك عدول عن الأصل، فتناسب التركيب النصي مع هذا العدول الوظيفي للأسلوب؛ لأن السياق الوظيفي يتطلب العدول، فخرج التعبير في صورة تركيبية انزياحية، تتوافق وانزياحية وظيفة الأسلوب، على النحو الآتي:

1- أن الأداة (الهمزة) قد خرجت في النص بالاستفهام من الاستخبار، وهو الوظيفة الأساس للأسلوب الاستفهامي، ومن وظيفتها الافتراضية (التصور، أو التصديق)، إلى وظائف أخرى، إذ هي إلى التقرير أو النفي أقرب منها إلى الاستخبار، وهي إلى الخبرية أقرب منها إلى الإنشائية، إذ يصبح المعنى: كيف أطلب لكم إلها وربا غير موجود، عوضا عن رب وإله موجود، ولا وجود لغيره. فخرج

الاستفهام من وظيفة الاستخبار إلى وظيفة التقرير والنفي، وإلى وظيفة التوبيخ والتقريع.

2- خرجت وظيفة المفعولية وموقعها من المفعول أو الرتبة إلى الاعتناء، وزيادة في التوبيخ.

3- خرجت وظيفة جملة الحال عن بيان الهيئة المصاحبة إلى بيان حال الإنسان وجهله، وزيادة في التقريع والتوبيخ.

4- مناسبة جملة الحال في الآيات التي وردت فيها، للاستفهام قبلها، وللسياق العام للآيات.

وهي بمجملها وظائف نصية داخل العبارة تكوِّن عند اجتماعها وظيفة نصية كبرى لأسلوب الاستفهام على وفق هذا النمط هو، التوبيخ والتقريع والإنكار. كما أن له وظيفة تقوية المعنى.

الصورة الدلالية:

لا تكتمل الصورة الدلالية إلا بانتهاء التركيب النصي، "فالجملة اللغوية كالكلمة التي لا تمتلك دلالتها إلا داخل جملة، كذلك الجملة لا تتحدد دلاليا إلا في سياق. فالجملة في النص لا تفهم في ذاتها، وإنما تسهم الجمل الأخرى في فهمها"[34] فتكوُّن الصورة الدلالية يحتمل التوبيخ والإنكار لما يطلبه البشر، ولحال البشر مع النعمة ومع المنعم، فهم- البشر- مع إيمانهم الصريح أو الضمني بالإله، الحق يبتغون غيره. ودليل إيمانهم في القرآن: أنهم كانوا يعترفون بأن الله هو خالق السموات والأرض، ودليل إيمانهم من السياق موضع الدرس: أن الخطاب موجه إلى ذوي البلاغة والفطنة اللغوية- حينئذ- وكان الاستفهام عن ابتغائهم غير الله، وهذا يدل على إيمانهم به، إلا أنهم يريدون تحكيم غيره، وولاية غيره، ويعتقدون الرزق والنفع والضر في آلهتهم، أو في مسببات الحياة.

ثم إن الفعل الاستفهامي جاء مضارعا، والمضارع، كما هو معلوم، له دلالة التجدد والاستمرار، فهم لم يبتغوا وانتهوا، بل ابتغوا وما زالوا يبتغون، ذلك أن الحياة متجددة ورغبة البشر متقلبة، والعبادة مستمرة، وجبل عليها الإنسان، سواء صرفها إلى مستحقها أم لا.

ومما يدل على إيمانهم: أن الاستفهام في الأصل إنما هو لطلب العلم بالشيء، أما هنا فإن الاستفهام لم يكن لذلك، والأداة – أيضا- خرجت عن غرضها ، كما مر بنا آنفا، وهذا يدل على أن المُخَاطَب يعلم أن ما يطلبه ويبتغيه غير صحيح، وهو على علم بأن المستحق للعبادة عقلا ومنطقا هو من دل عليه السياق من الإنعام والقدرة وغير ذلك.

وهذا يزيد من فاعلية الوظيفة النصية الإنكارية والتوبيخية، وتقوية المعنى.

كما نلحظ أنه قد ذكر مرتكزات العقيدة في هذا السياق، وهو ما يتناسب مع مقام المخاطبين في مكة، ويناسب مرحلة تثبيت العقيدة، فالعقيدة تكاد تنحصر في: الولاية، والربوبية، والحاكمية، والألوهية، ويجمعها العبادة، وقد ذكرت العبادة في النص المدني باسم الدين، والدين هو الطريق المتبع، وذلك يتناسب وطبيعة القرآن المدني، في حين ذكرت العبادة في النص المكي دون ذكر الدين.

جمالية الأسلوب على العموم: (مع اقتران التقديم بالاستفهام بالهمزة. ومجيء جملة الحال)

1- الجمع بين الإنشاء و الخبر. الإنشاء في الاستفهام، والخبر في الجملة الحالية، التي جاءت بعده في أكثر من موضع، زيادة في تقرير التوبيخ، والتعجب من حال المخاطَبين بالقول.

2- الجمالية المركبة في هذا الأسلوب، إذ يجتمع في العبارة أكثر من أسلوب، لكل منها جمالية. وحين تجتمع لا شك ستكون جمالية مركبة، تحتاج إلى التأمل فيها منفردة ثم فيها مجتمعة ، أما منفردة

فالاستفهام بالهمز له جمالية، والتقديم له جمالية، والجملة الحالية اسمية كانت أو فعلية لها جمالية، ثم اجتماع كل هذا في سياق واحد، وفي جملة قصيرة له كل الجمال.

3- دلت الجملة على الحالة النفسية للمخاطَبين. فالابتغاء ليس شيئا حسيا، بل رغبة وجنوحا في النفس.

4- التدرج فيما جاء على هذا الأسلوب، إن نظرنا إلى النص القرآني بصفته الكلية، لا بوحدة السورة الواحدة، وأيضا اختلاف طبيعة الاستفهام والمستفهم، والجملة المصاحبة للاستفهام، بين النص المكي والمدني، على أننا نلحظ أن الاستفهام على وفق هذا الأسلوب قد ورد في سور مكية، ولم يأت مدنيا إلا في آية واحدة (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) [83] من سورة آل عمران. ونلحظ التدرج في السور المكية، و مناسبة جملة الحال لما سبقها من الاستفهام:

1- ابتغاء دين غير دين الله / والحال، له أسلم من في السموات والأرض.

2- اتخاذ ولي غير الله/ والحال، يُطعِم ولا يُطعَم.

3- ابتغاء حكم غير الله/ والحال. أنه قد أنزل إليكم الكتاب مفصلا.

4- ابتغاء رب غير الله/ والحال، أنه رب كل شيء.

5- ابتغاء إله غير الله/ والحال، أنه فضلكم على العالمين.

وقد ابتدأ الأسلوب بالعبادة، وأنهاه بالعبادة، وبين البداية والنهاية كانت صور الارتباط المتعددة مع الإله، في علاقة الإنسان به، متدرجة وشاملة للولاية و الحاكمية و الربوبية و الألوهية.

ثم : أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون.

5- دل الاستفهام بالهمزة على هذا النحو في الآيات على:

1- الإنكار.

2- التوبيخ.

3- الغرابة مما يصنعه البشر.

6- المفعول به مقدم بعد همزة الاستفهام، والتقديم يفيد الاختصاص. ومع أن هذا الأسلوب يحمل في طياته معنى الإنكار والاستهجان، أكد هذا الأمر بأسلوب تقريري، هو الأسلوب الخبري، إذ ساق بعد الاستفهام خبراً يؤكد تقرير الاستهجان وإنكار عملهم، وفحش تصرفهم، ويقوي المعنى المتضمن، والغرض المراد:

أغير دين الله: وله أسلم من في السموات والأرض، وأنتم إليه ترجعون. التسليم له طوعا وكرها، يبغون غير دينه، فهم شاذون.

أغير الله: وهو فاطر السموات والأرض يطعم ولا يطعم. يبغون وليا. فهم شاذون يعيشون في ملكه ويريدون وليا غيره.

أغير الله: تدعون ، وهو ملاذكم وملجأكم.

أغير الله: وقد أنزل كتابا فصل فيه الأحكام. والذين عندهم علم الكتاب يعلمون حق الكتاب، يبغون حكما، فهم متكبرون مجادلون.

أغير الله: وهو رب كل شيء. يبغون ربا، فهم شاذون.

أغير الله: وهو فضلكم على العالمين، أنتم يا من تريدون غيره، ولا يكون أصلا، وأنتم لم ترعوا له حرمة التفضيل.

أغير الله: تأمروني أعبد أيها الجاهلون. وهي آخر آية وردت على وفق هذا الأسلوب والسياق في القرآن، من حيث ترتيب السور.

وهذا الأسلوب يجتمع فيه أساليب متعددة، أولها التقديم لما حقه التأخير. ولا يكون هذا الانزياح والعدول عن التراتب في التركيب، إلا لغرض ونكتة بلاغية دلالية أو جمالية، وكلها قد اجتمعت.

7- اتصال غير بالاسم الأعظم مفردا في الآيات، عن طريق الإضافة فيه تعظيم لمضمون العبارة، وفيه إشارة صريحة إلى ما تقرره الآيات من عدم إلهٍ يستحق الابتغاء والعبودية غيره سبحانه وتعالى، وفيه تصريح، عن طريق الأسلوب، إلى اختصاص الله تعالى وحده بالعبودية والربوبية، والحاكمية، والألوهية، والولاية المطلقة.

8- تقوية القوة الإنجازية لمدلول الخطاب، ورسالته، من خلال العناصر التي أدخلت على الجملة في صورتها الأساس (قبل دخول الاستفهام) وأيضا من خلال العدول بتقديم المفعول به، كما أن لمجيء جملة الحال بعد الاستفهام أثرها في تقوية مدلول الخطاب، فطرق نظم المنطوقات وبناء الأساليب، من الوسائل التركيبية لتقوية قوة المنطوق الإنجازية[35].

وقد وردت (غير) في سياق الاستفهام بـ (هل) في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [3] من سورة فاطر.

وسياق الآية سياق التحدي، وحاجة الإنسان، وعجزه عن أمور هي أقرب ما تكون إليه، وهو أشد ما يكون لها حاجة، وفيها تنبيه على غفلة الإنسان عن تلك الأمور، ومن يتصرف بها، لأنها أمور أضحت من المسلمات التي تخص الإنسان، حتى أصيب ببلادة الألفة فلا يتفكر فيها، و لألفته إياها قد نسي نعمتها وفضل منعمها وقدرته.

المبحث الثاني:

حيز الوظيفة الحالية:

الوظيفة النصية والجمالية للحال:

سبق الحديث عن جمالية الحال وأثرها البلاغي والدلالي والتصويري في الجملة، مما يغني عن إعادته هنا. وقد جاءت (غير) على وفق هذا الحيز في صورة تكرارية تسمح بجعلها نمطا أسلوبيا أو ظاهرة أسلوبية؛ لأنها اتسمت بسمات تكرارية يمكن ملاحظتها، ومنها: أنها جاءت في موضع الحال مع مجيء الأصل وهو المشتق، وأنها لازمت الإضافة، وأنها (أي الحال) جاءت على هيئة الاعتراض، وجاءت – غالبا- في سياق شرطي، ما يجعل من هذا النمط التركيبي ظاهرة أسلوبية لها حيز تكراري. وقد درسها الباحث ضمن الجملة الحالية، كونها أكثر تأثيرا من الشرط داخل السياق.

وللحال، جملة كانت أم غير ذلك، عدد من الوظائف النصية في العبارة، على النحو الآتي:

1- الحال مؤكد من مؤكدات الكلام، إلا أنها لا تأتي بالتكرار مثل المفعول المطلق، بل تتأتى ببيان الهيئة، مما يجعل للحال خصوصية في التعبير، فالدلالة على الحال أو الهيئة شيء زائد عن مجرد الإخبار، وهذه حال الفضلات عموما، فقولنا انطلق زيد كلام تام وإن لم نذكر معه شيئا من الفضلات، وذلك أنا لم نرد الزيادة في الفائدة بأكثر من الإخبار عنه بانطلاقه دون غيره [36]. وللحال مزية في إثبات المعنى " وذاك لأن الحالَ خبرٌ في الحقيقة من حَيْثُ إنك تُثْبتُ بها المعنى لذي الحالِ كما تُثبِته بالخبرِ للمبتدأ وبالفعلِ للفاعل" [37] ولذا فإن " حذف الحال لا يحسُن . وذلك أن الغرض فيها إنما هو توكيد الخبر بها، وما طريقه طريق التوكيد غير لائق به الحذف لأنه ضِدّ الغرض ونقيضه" [38] " وإنما كلامنا على حذف ما يحذف وهو مراد . فأما حذفه إذا لم يرد فسائغ لا سؤال فيه . وذلك كقولنا : انطلق زيد ألا ترى هذا كلاما تاما وإن لم تذكر معه شيئا من الفضلات مصدرا ولا ظرفا ولا حالا ولا مفعولا له ولا مفعولا معه ولا غيره . وذلك أنك لم تُرد الزيادة في الفائدة بأكثر من الإخبار عنه بانطلاقه دون غيره"[39].

2- الحال تشبه الخبر في أنها تحمل الدلالة المقصودة، ويصح الإخبار بها، كما مر بنا آنفاً، والمعلوم أن **الفائدة** إنما تتركز في الخبر لا في المبتدأ. ومن جماليات الحال، حين تجيء جملة، أنها قد تأتي مقترنة بالواو، أو ضمير الفصل، أو ما يعود على سابق في القول، فيزيده بيانا وتعظيما وتأكيدا " وذلك أنك إذا أعدْتَ ذكرَ زيدٍ فجئتَ بضميرِه المنفصلِ المرفوع، كانَ بمنزِلة أَنْ تُعيدَ اسمَه صريحاً فتقولُ : جاءني زيدٌ وزيدٌ يسرعُ . في أنّك لا تجدُ سبيلاً إلى أَنْ تُدْخِلَ (يسرعُ) في صلةِ المجيءِ وتضمَّه إليه في الإثبات . وذلك أنَّ إعادتَكَ ذكرَ (زيدٍ) لا تكونُ حتى تقصدَ استئنافَ الخبرِ عنه بأنه يسرعُ وحتى تبتدئ إثباتاً للسُّرعَة لأنك إنْ لم تَفْعلْ ذلك تركتَ المبتدأ الذي هو ضميرُ زيدٍ أو اسمُهُ..." [40].

3- تأتي الحال لبيان الهيئة وقت وقوع الحدث من الفاعل أو وقوعه على المفعول، أي إن لها قوة تعبيرية تصويرية.

4- للحال معنى الملابسة.

ونستطيع القول: إن جملة الحال، أو الحال عموما، إنشاء وإن كانت خبرا؛ لأنها وإن كانت مقصودة في الدلالة فإنها شيء زائد للتأكيد والثبوتية، والثبوتية تتنافى مع ما يحتمل الصدق والكذب. فكأن قول القائل : قد جاء محمد، يحتمل الصدق والكذب، إلا أن قوله: قد جاء محمد راكباً، كأنه قد أعرض عن الشك في المجيء، وإنما أراد أن يزيد السامع بياناً بهيئة المجيء، أما المجيء فلا خلاف عليه.

وقد جاءت (غير) في هذا الحيز على صورتين (من الناحية التركيبية) الأولى: مجيئها في موضع الحال، ضمن أسلوب يتضمن الشرط غالباً، والصورة الثانية: مجيئها في موضع المتعلق بالحال. وسيُكتَفى بالصورة الأولى.

(غير) في موضع الحال:

جاءت (غير) منصوبة على الحال في مواطن كثيرة، وقد وردت ضمن هذا الأسلوب مختلطة بأسلوب الإضافة، وكان مضافها اسم الفاعل في الغالب، و ربما أضيفت إلى المصدر. ووردت في سياقات موضوعية متنوعة، لذا ستؤخذ بعض الآيات بوصفها نماذج لما لم يذكر.

1- في الأطعمة

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [173] من سورة البقرة .

وكقوله تعالى: ﴿ قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [145] من سورة الأنعام.

وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [115] من سورة النحل. البغي: طلب تجاوز الاقتصاد فيما يُتحرَّى، تجاوزه، أو لم يتجاوزه. والبغي في أكثر المواضع مذموم. ومنه قوله: (غير باغ) أي غير طالب ما ليس له طلبه، ولا متجاوزا لما رُسِمَ له[41] أي لا يأكله غيرَ مضطرٍ إليه، ولا عاد شبعه[42]. فالباغي: " من يأكل فوق حاجته، والعادي : من يأكل هذه المحرمات وهو يجد عنها مندوحة" [43]. "ونصب (غير) على أنه حال، وكذا ما عطف عليه. وليس التقييد بالحال الأولى لبيان أنه لو لم يوجد القيد بالمعنى السابق لتحققت الحرمة المبحوث عنها، بل للتحذير من حرام آخر، وهو أخذه حق مضطر آخر. فإن من أخذ لحم

ميتة – مثلا – من مضطر آخر، فأكله، فإن حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة، بل باعتبار كونه حقا للمضطر الآخر، وأما الحال الثانية، فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا، فإن التجاوز عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث أنه لحم الميتة"[44].

وكقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [3] من سورة المائدة. الجنف الجور عن الحق والعدل[45]. وغير متجانف أي غير متعوِّج مائل إليه، وكل منحرف وكل أعوج فهو أجنف[46]. ومنه قوله تعالى: (فمن خاف من موص جنفاً) أي ميلا ظاهراً، وعلى هذا قوله: (غير متجانف)[47] فالجنف:" الميل. والإثم: الحرام : أي حال كون المضطر في مخمصة غير مائل لإثم، وهو بمعنى غير باغ ولا عاد. وكل مائل فهو متجانف وجنف " [48]. و الجنف فيه معنى الميل وليس الاعتداء، ولعل هذا يؤكد ما مضى ذكره من تصوير شعور الفاعل حين الفعل. وكأن الجنف فيه معنى حدوث الفعل في الاستقرار، وأما البغي والتعدي فقد يكون في الاستقرار وفي غيره. والميل ينافي الاضطرار، لأن الاضطرار يكون مع القهر والإرغام، كقهر قوة يناله بدفعها الهلاك، كمن اشتد به الجوع فاضطر إلى أكل ميتة[49] أي إنه حين أكل كان "غير متناول للذة. ولا يتجاوز سد الجوعة"[50]. أما الميل فيكون مع الرغبة والاختيار، ولا يصحبه امتعاض النفس وكراهيتها.

وكقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [1] من سورة المائدة.

وقوله تعالى : ﴿غير محلي الصيد﴾، أي ما كان صيدا فهو حلال في الإحلال دون الإحرام، وما لم يكن صيدا فهو حلال في الحالين.....(وغير محلي الصيد) حال من الكاف والميم في لكم. والتقدير : أحلت لكم بهيمة الأنعام غير محلى الصيد. ثم قيل : يجوز أن يرجع الإحلال إلى الناس، أي لا تحلوا الصيد في حال الإحرام. ويجوز أن يرجع إلى الله تعالى، أي أحللت لكم البهيمة إلا ما كان صيدا في وقت الإحرام، كما تقول: أحللت لك كذا غير مبيح لك يوم الجمعة، فإذا قلت يرجع إلى الناس فالمعنى: غير محلين الصيد فحذفت النون تخفيفا"[51].

والتحليل أو التحريم، أمران تشريعيان، يختص بهما الله تعالى، فهو صاحب الحق المطلق فيهما. وهو في الاستخدام الفردي متعلق باستحلال الفرد لأمر ما، أي إن له علاقة بحالة من الرضى والرغبة من الفاعل، تجاه هذا الأمر، أو إشعار نفسه بالرضى، وإن لم تكن على قناعة تامة، بل ليست على قناعة بل هي حالة قد تعتري الإنسان. فلا يستحل استحلال جراءة وتعدٍّ، بل غفلة وغرابة وقتية. أما في قوله: (محلي) فلعل فيه إشارة إلى التعدي، والرغبة في ذلك، وليس مجرد قتل الصيد، كما لو قتل عن طريق الخطأ، إذ لا يكون الصيد صيدا ، إلا بالتصيد والترصد رغبة في ذلك وحبا له أو تجرؤا عليه، أي " أحلت لكم هذه غير مستحلين للصيد"[52].

ولعلنا قد لحظنا الآتي:

1- أن الأمر إذا كان متعلقا بتحريم أصناف من الأكل، وتحليل بعضها، في حال مخصوص، فإنه قد

جعل المضاف إلى الحال مشتقا، وقد تكرر بصيغة واحدة في الآيات ذات العلاقة، إلا في آية واحدة وهي بمعنى مرادف فقال في الأولى: (غير باغ ولا عاد)، وقال في الثانية:(غير متجانف) والألفاظ تشير إلى حال المرء وقت الحل، أن يكون حاله فعلا ونيةً، غير مائل إلى اقتراف الذنب وأكل الميتة، وأن يكون في حكم المضطر، لا في حكم المائل، وربما حرم على المضطر – أيضا– أن يأكل إن كان قد قصد الميل والدعة، ولم يقصد بلوغ الرمق فقط، أو لم تحصل له كراهة.

2– وردت (غير) حالا، وهذا ربما يقوي ما مضى قوله من أهمية نوعية النية حال الأكل، حتى وإن كان مضطراً، أي أن يكون الاضطرار حسيا؛ بشدة الجوع أو خلافه من الأسباب، وانعدام غير هذا حلا، وكراهية النفس وجعلها تضطر اضطرارا للأكل لا رغبة.

3– اختتمت الآيات بنهاية متقاربة، هي جواب الشرط: (فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) [173] من سورة البقرة، (فإن الله غفور رحيم) [192] من سورة البقرة، (فإن ربك غفور رحيم) [145] من سورة الأنعام، بعد ذكر البغي والاعتداء. ومع قوله: (غير متجانف لإثم)، دون ذكر البغي والاعتداء، جاء الجواب: فإن الله غفور رحيم. والإثم لا يتعلق بالفعل فحسب، بل له علاقة بالنية حال الفعل أيضا. وفي آية البقرة كان الجواب على هيئة التعليل لعدم حصول الإثم، وفي الآيات الأخريات المتعلقة بالطعام جاء الجواب مقترنا بالفاء.

4– اقترنت الآيات بالمغفرة والرحمة. والآيات في الأطعمة تقرر مبدأ من مبادئ الترخص في الإسلام، فمتى خشي الضرر، فثمت الضرورة والرخصة، ويقدر الضررَ صاحبُه.

5– أن الحال لم تدل على الهيئة الحسية أو الصورة، بقدر ما دلت على النية والعامل المعنوي، وهو ما يقدره المرء ذاته، و لا تقدره المواقف الأخرى، فهو الذي يعلم إن كان متعديا أم لا، وإن كان قد جاوز الحد المسموح به أم لا يزال في الحل، إلى غير ذلك.

2– في العلاقات الاجتماعية والأمور الشخصية

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيَ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [240] من سورة البقرة.

قوله : ﴿ غير إخراج ﴾ .... حال : أي متعوهن غير مخرجات "[53]

وقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانُواْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [12] من سورة النساء.

قوله: "﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار﴾ أي من غير ضرار لورثته فلا يقر بحق ليس عليه ولا يوصى بأكثر من الثلث قاله ابن جبير. فالدين هنا مقيد كالوصية ...أي يوصى بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار "[54]

فهو تحذير من الإضرار عن طريق الوصية، وهذا التحذير له قيمته أكثر مما كان عليه في الأطعمة، فالضرر في الأطعمة شخصي، أما الضرر هنا فهو ضرر اجتماعي ولعل من النكتة البلاغية أن يكون الضرر مفخما بالتضعيف والمد (مضار). فإلحاق الأذى عبر الوصية يتبعه تفكك اجتماعي، وأسري، وظلم، وانتهاك لحقوق الآخرين، ونهب حق الآخرين، وظلم بعض الأبناء لحساب بعض، وغير ذلك. ويقع الضرر على الأحياء وعلى الميت. فالميت آثم، وقد سبَّب هذا الإثم مَنْ هم حوله، بقولهم وفعلهم وسكوتهم.

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا

تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [24] من سورة النساء.

وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [5] من سورة المائدة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [25] من سورة النساء.

" (غير مسافحين/ غير مسافحات) حال من الضمير البارز أو من الضمير المستكن، وهي في الحقيقة حال مؤكدة. والسفاح: الزنا من السفح وهو صب الماء وسمي الزنا به لأن الزاني لا غرض له إلا صب النطفة فقط لا النسل "[55] وفي التعبير إشارة إلى ما كان يفعله بعضهم، وفيه إرشاد إلى ما ينبغي عليهم التحصن منه، مما كانوا يتساهلون فيه، وفيه تقبيح لقصدهم من إتيان المرأة لغير قصد الإحصان، ولا النسل، فهو تقبيح لقصدهم ذلك. وفي هذا القصد ضياع للنسل ولكرامة الآخرين وحقوق أعراضهم وصحة أنسابهم. وفي ذلك فساد اجتماعي له آثاره المتعاقبة. وفي حضور القصد ما يؤكد ما مضى بنا من قبل، أن الحال قد جاءت لا لبيان الهيئة الحسية للحدث، بل لتصوير وبيان خلجات النفس حين إتيان الفعل.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [53] سورة الأحزاب.

"قوله: "﴿غير ناظرين﴾ حال من ﴿ لا تدخلوا ﴾ وقع الاستثناء على الوقت والحال معا. كأنه قيل: لا تدخلوا بيوت النبي – صلى الله عليه وسلم– إلا وقت الإذن. ولا تدخلوها إلا غير ناظرين. وهؤلاء قوم كانوا يتحيرون طعام رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين إدراكه. ومعناه: لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام فحسب "[56]. " أي غير منتظرين نضجه وبلوغه. تقول: أنى الطعام يأنى أنيًا كقلي يقلي قليًا إذا نضج وبلغ ... أي غير ناظرين آنه أي حينه. والمراد حين إدراكه ونضجه، أو حين أكله"[57]

وللجملة هنا﴿ غير ناظرين إناه﴾ جمالية الوصف التعبيري التصويري، المختلط ببيان المشاعر النفسية، إذ قد صور الموقف كأنه مشاهَد. وإذا كان هذا التصوير إحدى وظائف الحال، سواء أكانت جملة أم كانت مفردة– فإنها– هنا لم تدل على الهيئة حسب، بل لقد دلت على الحالة غير الشعورية للمرء في لحظة من لحظات الاندهاش، لقد جعلتنا الجملة كأننا أمام الموقف كما هو من غير أدنى تغيير يلحق به، ثم جعلته من خلال (غير) أسلوبا تعليميا تأديبيا للمرء المسلم حين يُدعُى إلى الطعام، فهو في ذاته قد عبر عن الموقف، وصوره تصويرا غاية في الدقة والالتقاط لجزئيات الصورة، أو لجزئيات في الموقف، بل لتعبير

حسي جسدي هو هيئة المنتظِر، ثم صور المنتظِر من ناحية نفسية وذلك بما يخالج شعوره من الترقب. ويفهم من القول ما يتبع هذا الانتظار والبقاء من حرج يلحق رب الدار. و قد أخرج التعبير في ثوب عجيب قشيب. وفي الانتظار احتمالية التأويل.

ونلحظ جمالية أخرى، وهي تتعلق بالإضافة إلى المشتق، فالمشتق في ذاته قد يدل على الهيئة، لكنه مع (غير) لم يدل على الهيئة فقط، بل دل دلالات مصاحبة جمة، ولنا –إن كان ذلك جائزا– أن نرى إن كان يصح قولنا: على أن لا تنظروا إناه/ ولا تنظروا إناه/...، أما في (غير ناظرين إناه) فإنه ليس نهيا تقليديا، بل هو نهي تربوي، يتحول إلى سلوك. فالنهي بـ(لا) قد يحتمل السؤال: ولمَ كان ذلك؟ أما النهي بـ(غير) وفقا للسياق، فليس كذلك. ولم تفد شرطا كما لو كان النهي أو الإفادة بكلمة غير (غير) . وفي تكون الحال من (غير) ومضافها المشتق– مع صلاحية المشتق وأصالته في ذلك– عدول عن الأصل، ولن يكون هذا العدول مع وجود الأصل في الجملة ذاتها إلا لنكتة بلاغية دلالية جمالية.

لقد كانت عبارة الحال – كما تركبت– أشبه ما تكون بالاعتراض بين شيئين، لأهميتها في موقعها، وموقفها الكائن حينئذٍ، أو في أي موقف مشابه. وهذه جمالية لها في هذه الآية وفي الآيات الواردة ضمن السياق المشابه، ذلك أن الاعتراض يفيد توكيدا وتحسينا.

كما نلحظ جمالية الإيجاز، ويمكن أن ندرك ذلك من مراجعتنا لكتب التفسير، وكم من الجمل قد أوردت كي تفي بتأويل إعراب (غير) أو موقعها فضلا عن دلالاتها في موضعها وسياقها.

3– في العقيدة

﴿حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [31] سورة الحج

" نصب﴿ حنفاء ﴾ على الحال : أي مستقيمين على الحق أو مائلين إلى الحق. ولفظ حنفاء من الأضداد، يقع على الاستقامة، ويقع على الميل. ﴿ غير مشركين به ﴾ هو حال كالأول: أي غير مشركين به شيئا من الأشياء. " [58]وفيه دلالة وجوب انتفاء الحال المصاحبة، إذ يتنافى حال (حنفاء) مع حال (مشركين) ولا يوجد إلا أحدهما.

من الملاحظات التركيبية النصية:

1– العدول في كون (غير) جاءت حالا مع وجود المشتق.

2– ورود (غير) مركبة تركيبا إضافيا مع المشتق، ومجيء مضاف (غير) مشتقا (اسم فاعل) فيه تحويل للدلالة والعناية من الفعل أو المصدر إلى الفاعل.

3– مجيء الحال على هيئة الاعتراض وله جمالية الإبانة والتوكيد.

4– التنبيه إلى الحالة الشعورية و قصدية الفاعل، وهي وظيفة لا تتحقق بالمشتق أو المصدر فقط.

الوظيفة النصية

لا تنفصل الوظيفة النصية عن الوظيفة التركيبية والسياقية، كما أنها لا تنفصل عن الأثر الجمالي، والفصل بينها لغرض العرض. والفرق بين الوظيفة التركيبية والوظيفة النصية، أن الوظيفة التركيبية النظر فيها يتعلق بالموقع الإعرابي والرتبة، أما النصية فينظر فيها في وظيفة مجيء التركيب على هذه الشاكلة وأثره في المعنى والمتلقي.

مجيء (غير) في موضع الحال، وفي موقعها السياقي– على هيئة الاعتراض– فإن ذلك له دلالة وجمالية وظيفية نصية، لا تكون فيما لو كان المشتق هو الذي أدى وظيفة الحال. إذ قد تكون الحال حينها على تعلق بالبغي والعداوة أو الجنف،أما في الهيئة

النصية الظاهرة في هذا النمط التركيبي(غير وما أضيف إليها) ووفق الهيئة النصية الواردة، فإن الدلالة والوظيفة النصية، لغير وللعبارة تعني فيما تعنيه اشتراط انتفاء حالة البغي الحسية والمعنوية عن الفاعل، وفي الفاعل.

أما انتفاء الحالة الحسية فبانتفاء التعدي، وأما انتفاء الحالة المعنوية فبانتفاء الجنوح والرغبة وعدم المبالاة، أو الممالأة نحو الإثم والتساهل في اقترافه، أو بالزيادة عن قدر الحاجة وبما يسد الرمق،. أما لو قلنا: لا باغيا، ففيها معنى الحال واللحظة المؤقتة، أما: غير باغ، فهو أكثر امتدادا زمنيا، وأكثر ارتباطا بالحالة النفسية والشعورية والحسية وهي لا تكون للحظة قصيرة.

لذا فإن فاعلية (غير) ضمن السياق والتركيب، تتمثل في:

1- تمثيل للمعنوي، وللحسي.

2- زيادة البيان و التوكيد بورودها على هيئة الاعتراض.

3- إضفاء معنى دلالي جديد على الشرط،(في آيات الأطعمة) في أنه لا يتحقق الاضطرار المسموح فيه والمغفور فيه لصاحبه إلا بكون الفاعل غير باغ، غير عاد، غير متجانف.

4- تصوير للحالة النفسية.

5- إيكال المرء إلى ذاته فيه تكريم من الله تعالى للإنسان، وفيه إشراك للمتلقي في فاعلية النص.

6- حضور القصدية من الفاعل حين فعله الحدث، كما مضى في البغي والجنف، وفي قوله غير مضار، حضور لقصدية الضرر من قبل الموصي، وفي قوله:(غير مسافحات، غير مسافحين) حضور لقصدية صب الماء وقضاء الوطر، وليس التناسل والعفة.

إذن فإن فاعلية (غير) في الجملة قد تظافرت على تكوينها عوامل عديدة ، وذلك بكونها وردت في صورة انزياح في موقع الحال مع وجود المشتق، وذلك لنكتة بلاغية ودلالية مضى ذكرها.

جمالية الأسلوب على العموم:

1- القدرة الفائقة على التعبير التصويري المختلط بما يجول في الخاطر أو النوايا، وهو أمر يفوق قصد التعبير التصويري للموقف الحسي- فقط- إلى الموقف المعنوي المصاحب للموقف الحسي، وهو أمر غاية في الروعة والبهاء. (غير باغ، غير متجانف، غير مسافحين، غير مسافحات، غير متبرجات، غير ناظرين إناه، غير مسمع، غير مشركين).

2- وفي ذلك عناية واضحة بالبعد النفسي للأمر والتشريع، وللتصوير باللغة القرآنية.

3- وظفت إضافة المشتق توظيفا تصويريا. حيث المشتق قائم بذاته في تصوير الحال، إلا انه هنا بعد اقترانه بـ(غير) قد وظف لتصوير الحالة بمعنى الهيئة في مثل قوله تعالى: " غير متبرجات، غير إخراج" وفي تصوير الحالة النفسية الشعورية وهو ما لا يصوره المشتق – ربما بذاته- في مثل قوله: (غير باغ، غير متجانف، غير مضار، غير مسافحين، غير مشركين)

4- احتمالية التأويل وتعدده.

5- العدول، إذ المشتق أصل في الدلالة على الحال، إلا أنه عدل عن الأصل إلى غيره لغاية بديعة أبلغت الحال والموقف بما لا يقدر على مثله إلا به.

6- الأهمية المتعلقة بالمتصل بـ(غير)، إذ قد ورد ضمن سياق الجملة أشبه ما يكون بالاعتراض والاحتراز، فمن اضطر- غير باغ- فلا إثم عليه، وليس مجرد الاضطرار مع أنه هو السبب في تغيير حكم التحريم إلى الحل، إلا أن قوله: ﴿ غير باغ، غير متجانف﴾ قد جعل للاضطرار شرطا آخر غير الاضطرار، وهو أن لا يكون هناك رغبة إليه. وكذا

مراعاة الحالة في مثل قوله تعالى:﴿ إلا أن يؤذن لكم إلى طعام- غير ناظرين إناه- ولكن إذا دعيتم فادخلوا﴾ ﴿ فلا جناح عليهن أن يضعن ثيابهن- غير متبرجات بزينة- وأن يستعففن خير لهن﴾ ﴿ من بعد وصية يوصى بها أو دين- غير مضار- وصية من الله﴾

المبحث الثالث:

حيز النفي:

الوظيفة النصية والجمالية للنفي:

النفي باب من أبواب المعاني يقصد به المتكلم إخراج الحكم من تركيب لغوي إلى ضده، وتحويل معنى ذهني فيه الإيجاب والقبول إلى حكم يخالفه إلى نقيضه.[59] و"لحروف النفي تعلق بالبلاغة لما يلحقها من الأسرار القرآنية والشعرية بحسب مواقعها ومواردها"[60] ومن أدوات النفي ما يعمل على تحويل الجملة من الإثبات إلى ضده، كما في قوله تعالى:﴿ ما هن أمهاتكم﴾ [2] من سورة المجادلة.

وقد يعمل النفي على إثبات الحكم وتأكيده، لا نفيه، وهو أسلوب بلاغي عظيم الفائدة، ومنه ما ورد في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿ ما محمد إلا رسول﴾ [144] من سورة آل عمران.

وفي الآيات موضع الدراسة جاءت (غير) في سياق تركيبي يضمن النفي بـ (ما) وزيادة(من) وهو أسلوب تفيد فيه زيادة (من) الاستغراق والتوكيد[61]. وهنا زيادة حصلت بمجيء(غير) بعد النفي لتدل على انتفاء الحال ووجودها أو تحققها الآن أو غير الآن، وليس أنها لنفي الحال مؤقتا.

حيز التكرار" ما لكم من إله غيره"

وقد ورد الأسلوب في أكثر من آية في سياق مضموني واحد هو دعوة الرسل:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [59] من سورة الأعراف.

﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ [65] من سورة الأعراف.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [73] من سورة الأعراف.

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [85] من سورة الأعراف.

﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ﴾ [50] سورة هود.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [61] من سورة هود.

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [84] من سورة هود.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [23] من سورة المؤمنون.

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [32] من سورة المؤمنون.

ورد هذا القول (ما لكم من إله غيره) على لسان الأنبياء والرسل، كون مضمون هذه العبارة من موضوعات الرسالة التي كلفوا بتبليغها. ونلحظ في الآيات أن الخطاب لم يقتصر على الدعوة إلى التوحيد، بل خاطبهم بعقولهم وما تراه عيونهم، وتلمسه

حواسهم من النعم، وأيضا التنبيه إلى ما يقترفونه من الذنوب والآثام.

جمالية الأسلوب:

1- اتحاد السياق المضموني الوارد فيه هذا الأسلوب، مما قد يوحي بعدد من الدلالات اللغوية والشرعية، أما الشرعية فمنها وحدة الدعوة والرسالة، وإن اختلفت التشريعات الإجرائية، أما العقيدة فواحدة. وأما اللغوية فمنها: توكيد المعنى في كل مقام مشابه، أو مناسبة القول لكل مقام مشابه، لأنه ليس غيره أشمل منه ولا أعم. ويتفرع عن هذا أمر آخر وهو ما قد يمكن ملاحظته من تتمة القول بعد (غير)، فإذا كانت جملة (غير) كأنها في مقام العلة للدعوة للعبادة، فإن ما بعدها يبين صنوفا مختلفة من العبادة تتناسب مع حال المدعوين حينها، وفي كل حين، وتؤصل لمفهوم العبادة إلى يوم الدين. فمثلا: إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم/ أفلا تتقون/قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية/ قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان/ إن أنتم إلا مفترون/ هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها/ و لا تنقصوا المكيال والميزان/ أفلا تتقون. ويظهر أن البينة مع (صالح) عليه السلام، بينة المعجزة. ومع (شعيب) عليه السلام، بينة الإرشاد الإلهي.

2- وحدانية المرسل.

3- تنافي الحال الكائن حقيقة مع ما يدعيه المخاطَب من الأحوال، فهو إذ يدعي أن إلها أو آلهة أخرى يعبدها وموجودة، فإن الحال الذي لا يحول ولا يتبدل أنه لا وجود لإله غير الله تعالى.

4- استنكار الموقف إذ لا إله يستحق العبادة – بل لا إله موجود– غيره تعالى.

5- زيادة (منْ) إعرابا أما دلالة فلها دلالة التوكيد.

6- قدَّم الجار والمجرور(لكم) تنبيهاً للمخاطَبِ على جهله.

7- لم تأت (غير) وما يتبعها على هيئة الاعتراض.

من وظائف وجماليات (غير) عامة:

في ختام هذا البحث أشير إلى أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة من وظائف وجماليات (غير) في الآيات موضع الدراسة:

1- الحصر والاختصاص.

2- الإيجاز والتكثيف، وجمالية الاقتصاد اللغوي.

3- المبالغة والدلالة على بلوغ التمام في الشيء أي لا يوجد مجال للوسطية. في النفي أو التجنب أو غير ذلك.

4- العموم والإحاطة والتقرير المبالغ في إتمامه.

5- قدرتها على تصوير الحالة النفسية، وإحضار المتلقي وإشراكه في الواقع، عند اتصالها بالمشتق، غير مضار، غير متجانف، غير مسافحين...

6- تنوع الوظيفة النصية لغير تبعا للأسلوب الواردة ضمنه، وما اقترن بها:

1- الاستفهام ورد غالبا في سياق التوبيخ سواء: أغير، مَن إله غير، هل من خالق.

2- ورود (غير) وما بعدها على هيئة الاعتراض يجعلها في موضع الإبانة والتوكيد.

3- الوصف بـ(غير) نفي مطلق لكل من لم يرد اسمه بعدها، فلا يبقى صاحب للحق والقدرة غيره تعالى.

4- ورود (غير) في الخبر يجعلها وما جاءت له مرتكز الدلالة في الجملة.

5- دلت (غير) على انتفاء الحال وفقا للسياق الواردة فيه إن كانت عمدة أو فضلة أو وصفا.

7- تتميز (غير) بالغموض والإبهام في ذاتها، لكنها داخل الجملة، مع دلالتها على الإبهام فهي شديدة الوضوح في دلالاتها السياقية كما تبين مما مضى.

8- أسلوبية الانزياح والعدول حيث نقلت وظيفة الدلالة على الحال من المشتق إلى غير.

9- حضور المتلقي في بنية النص عبر التغييرات الأسلوبية لتناسب المقام.

الهوامش:

(1) مصلوح، سعد، الدراسة الإحصائية للأسلوب، بحث في الوظيفة، عالم الفكر،، دورية تصدر عن المجلس الوطني للفنون والآداب بدولة الكويت، المجلد 20، العدد3، أكتوبر نوفمبر ديسمبر، 1989م، ج 3، 118.

(2) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية، وفايز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق،ط2، 1987، 159.

(3) عمايرة، خليل أحمد، في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي، وتطبيقه على التوكيد اللغوي، والنفي اللغوي، وأسلوب الاستفهام، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1987م، 105.

(4) السبكي، بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي، عروس الأفراح، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، ط1، 2001م، 514/1.

(5) عياد، شكري محمد، مدخل إلى علم الأسلوب، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1982م، 60.

(6) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2 269/3

(7) الجرجاني ، دلائل الإعجاز، 159.

(8) مبارك، محمد رضا، مفهوم النقد من الأسلوبية إلى تحليل الخطاب، فصول، العدد65، خريف 2004، شتاء 2005م، 150.

(9) الألوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، قرأه وصححه: محمد حسين عرب ، دار الفكر بيروت، 1994م، 6/ 222.

(10) الشوكاني، محمد بن علي بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ، حققه وخرج أحاديثه: عبد الرحمن عمير، دار الوفاء، المنصورة ، مصر، ط3، 2005م، 165/2.

(11) الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري، ضبط وتعليق محمود شاكر الحرستاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، 4/ 243

(12) الشوكاني ، فتح القدير، 4/ 243.

(13) ابن هشام، جمال الدين، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط1، 1992م، 506.

(14) الجرجاني ، دلائل الإعجاز،141.

(15) عمايرة ، التحليل اللغوي، 113.

(16) الجرجاني ، دلائل الإعجاز، 139.

(17) السابق ،140.

(18) السابق، 146.

(19) ابن الأثير، أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م، 36/2.

(20) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1988م، 330/2

(21) الجرجاني ، دلائل الإعجاز، 139.

(22) الشوكاني ، فتح القدير، 2/ 163.

(23) السابق، 3/ 233.

(24) الألوسي ، روح المعاني، 14/ 243.

(25) السابق، 1/ 588.

(26) الشوكاني ، فتح القدير، 2/ 147.

(27) السابق، 2/ 218.

(28) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، اعتنى به وصححه الشيخ هشام البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1995م، 322/14.

(29) الألوسي ، روح المعاني، 8/ 105.

(30) الشوكاني ، فتح القدير،2/ 260.

(31) السابق، 2/ 342.

(32) الألوسي ، روح المعاني، 9/ 63.

(33) أسيداه، محمد، مصطلح المنزلة النظرية للتداوليات، علامات في النقد، دورية تصدر عن النادي الأدبي بجدة، مجلد 16، عدد 64، 2008م، 147.

(34) الجزار، محمد فكري، لسانيات الاختلاف الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة،ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة، ط1، 2001م، 153.

(35) العبد، محمد، تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، فصول في النقد، العدد 65، خريف 2004، شتاء 2005م، 150

(36) ابن جني ، الخصائص، 379/2.

(37) الجرجاني ، دلائل الإعجاز، 215.

(38) ابن جني، الخصائص، 378/2.

(39) السابق، 379/2.

(40) الجرجاني ، دلائل الإعجاز، 218.

(41) الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د . ت. ط. 55، 56.

(42) أبي عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، مجاز القرآن، علق عليه: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1981م، 1/ 64.

(43) الشوكاني ، فتح القدير، 1/ 314.

(44) الألوسي، روح المعاني، 8/ 67.

(45) أبي عبيدة، مجاز القرآن، 66/1.

(46) السابق، 1/ 153.

(47) الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، 101.

(48) الشوكاني ، فتح القدير، 2/ 17.

(49) الراغب الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، 294.

(50) السابق، 56.
(51) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن، 6/ 35.
(52) الفراء، معاني القرآن، 1/ 298.
(53) الشوكاني ، فتح القدير،1/ 448.
(54) الألوسي، روح المعاني، 4/ 361.
(55) السابق، 5/ 7.
(56) الزمخشري ، الكشاف، 270/3.
(57) الألوسي ، روح المعاني، 22/ 99.
(58) الشوكاني ، فتح القدير، 3/ 615.
(59) عمايرة التحليل اللغوي، 154.
(60) العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مراجعة: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م، 301.
(61) السامرائي، صالح فاضل، معاني النحو، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2007م، ج2/ 70.

المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم.
ثانيًا: الكتب المطبوعة:
1- الآلوسي، محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، قرأه وصححه: محمد حسين عرب ، دار الفكر بيروت، 1994م.
2- ابن الأثير، أبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1999م.
3- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2 .
4- ابن هشام، جمال الدين: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ط1، 1992م.
5- أبي عبيدة، معمر بن المثنى التيمي: مجاز القرآن، علق عليه: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1981م.
6- أسيداه، محمد: مصطلح المنزلة النظرية للتداوليات، علامات في النقد، دورية تصدر عن النادي الأدبي بجدة، مجلد 16، عدد 64، 2008م.
7- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية، وفايز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق،ط2، 1987.
8- الجزار، محمد فكري: لسانيات الاختلاف الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة، ايتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001م.
9- الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د . ت. ط.
10- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1988م
11- السامرائي، صالح فاضل: معاني النحو، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2007م.
12- السبكي، بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي: عروس الأفراح، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، ط1، 2001م.
13- الشوكاني، محمد بن علي بن علي: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ، حققه وخرج أحاديثه: عبد الرحمن عمير، دار الوفاء، المنصورة ، مصر، ط3، 2005م.
14- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير: تفسير الطبري، ضبط وتعليق محمود شاكر الحرستاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
15- العبد، محمد: تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، فصول في النقد، العدد 65، خريف 2004، شتاء 2005م.
16- العلوي، يحيى بن حمزة: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مراجعة: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.
17- عمايرة، خليل أحمد: في التحليل اللغوي منهج وصفي تحليلي، وتطبيقه على التوكيد اللغوي، والنفي اللغوي، وأسلوب الاستفهام، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1987م.
18- عياد، شكري محمد: مدخل إلى علم الأسلوب، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1982م.
19- الفراء، معاني القرآن. عالم الكتب بيروت ط3 .1983
20- القرطبي،أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، اعتنى به وصححه الشيخ هشام البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1995م.
21- مبارك، محمد رضا: مفهوم النقد من الأسلوبية إلى تحليل الخطاب، فصول، العدد65، خريف 2004، شتاء 2005م.
22- مصلوح، سعد: الدراسة الإحصائية للأسلوب، بحث في الوظيفة، عالم الفكر، دورية تصدر عن المجلس الوطني للفنون والآداب بدولة الكويت، المجلد 20، العدد3، أكتوبر نوفمبر ديسمبر، 1989م.

The Influence of Interrogation, Haal and Negation on the Word Ghair in the Holy Quran

Adel Karamah Salim Ma'ili

Abstract

The word as a phonetic material and as a signifier is stable in its form and entity but it is also marked by change, diversity and viciousness in its function and performance according to the style in which it occurs, its locations and its syntactic function.

Tracing the word (ghair) within the Qur'anic text, we can find out the influence of the functional diversity and viciousness in the text and style. The semantic content of the word (ghair) varies according to the context and style. In this study, the word ghair was ivestigated within the thematic limits of the interrogation, haal and negation.

In interrogation, it indicates a question that implies threat and censure. The haal indicates the concrete form, but the word (ghir) in the Holy Quran does not only indicate a concrete form but it also adds another meaning related to the intention. In negation, the word ghaire in the Holy Quran indicates the negation or absence of a situation or a state; it does not temporarily negate the situation. It also used to emphasize the meaning. The researcher employed the indicative descriptive approach in his study.